المركز الدولي لخدمة اللغة
العربية مراكش - المغرب

شهادة المشاركة

يشهد رييس المركز الدولي لخدمة اللغة العربية أن الأستاذة **د. فاطمة حرار**
شاركت في أشغال الندوة الدولية التي نظمها المركز الدولي تكريما للعلامة محمد
بنشريفة في موضوع :

"العلامة محمد بنشريفة وأسئلة التراث المغربي الأندلسي"

يومي الأربعاء والخميس 15 و 16 نونبر 2017 بالمركب الإداري والثقافي محمد السادس
باب إغلي ــ مراكش.

وقد سلمت لها هذه الشهادة تقديرا لمشاركتها الفعالة بمداخلة علمية تحت عنوان:

ابن عميرة وابن شريفة: صحبة تمتد ووفاء بالعهد

رييس المركز الدولي لخدمة اللغة العربية

د. مولاي البشير الكعيش

المركز الدولي لخدمة اللغة العربية
الرئيس

بحوث الندوة التكريمية الدولية 15 و16 / 11 / 2017

العلامة محمد بنشريفة

وأسئلة التراث المغربي الأندلسي

تنسيق وتقديم

د. مولاي البشير الكعبة

مؤسسة آفاق

بحوث الندوة التكريمية الدولية المنعقدة بتاريخ: 15 و 16 نونبر 2017

العلاّمة
مُحَمَّد بَنْشَرِيفة
وأسئلة التراث المغربي الأندلسي

تنسيق وتقديم:
د.مولاي البشير الكعبة

تم نشر هذا الكتاب في إطار سلسلة
- تراجم وأعلام-

• الكتاب:

العلامة محمد بنشريفة وأسئلة التراث المغربي الأندلسي

بحوث الندوة التكريمية الدولية 15 و 16 / 11/ 2017

• تنسيق وتقديم:

مولاي البشير الكعبة

• عدد الصفحات: 320 صفحة

• مقاس: 17×24 سنتم

• الطبعة الأولى: مراكش 1441هـ/ 2019م

• الكلمات المفاتيح: بناء التراجم - تحقيق التراث الأندلسي - البحث عن الأسر المغمورة.

• الحقل المعرفي: الأدب / / تراجم وأعلام

• ديوي: 864

رقم الإيداع القانوني: 2019 MO 4378

الرقم الدولي: 3 - 49 - 618 - 9954 - 978

حقوق الطبع والنشر © مؤسسة آفاق 2019- المغرب

الناشر:

مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال،

483/4 الوحدة الرابعة، الداوديات - مراكش - المغرب

(212) 05 24 30 73 59

www.afaqedit.com

Email: afaqedit@gmail.com

منشورات المركز الدولي لخدمة اللغة العربية بمراكش - رقم 3

البريد الإلكتروني: arabiccenter2017@gmail.com

لوحة الغلاف: محمد جمال الدين بنعطية

تصميم الغلاف: مؤسسة آفاق - مراكش

الطباعة: المطبعة والوراقة الوطنية - مراكش - المغرب

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن خطي مسبق من الناشر.

فهرس

إهداء 5

تقديم 13

كلمة رئيس المركز الدولي لخدمة اللغة العربية 15

كلمة منظمة المجتمع المدني الدولية لقيم المواطنة والتنمية والحوار إيكسو 19

المداخلات:

ملامح من شخصية الأستاذ محمد بنشريفة من خلال تحقيقه السفر الثامن من كتاب الذيل والتكملة 21

دة. نجاة المريني

منهج العلامة ابن شريفة في السير الأدبية "ابن رشد الحفيد سيرة وثائقية" أنموذجًا 29

د. إسلام ماهر عمارة

ابن عَمِيرة وابن شَريفة: صُحبة تمتدّ ووفاء بالعهد 57

دة. فاطمة حرار

العلامة محمد بنشريفة وأسئلة التراث المغربي الأندلسي "القاضي عياض سيرة موجزة" نموذجا 87

دة. خديجة البوطاهري

الذاكرة الأندلسية من خلال أعمال العلامة الدكتور محمد بنشريفة 95

د. محمد نجيب لوباريس

منهج الدكتور محمد بنشريفة في ضبط اسم ابن بياع السبتي 113

د.عبد الله موساوي

الأمثال العامية الأندلسية بين التصورين: العربي والاستعرابي (محمد بنشريفة وإميليو غارثيا غوميث) 125

د.محمد العمارتي

عن النثر الفني في المشروع العلمي للعلامة المحقق الدكتور محمد بنشريفة 149

د. إبراهيم نادن

محمد بنشريفة والقول الفلسفي 171

د. إبراهيم بورشاشن

ردود ابن السيد البطليوسي على ابن العربي المعافري وابن خلصة النحوي: قضايا ونصوص 179

د. أنس وكاك

الدكتور محمد بنشريفة وتحقيق آثار ابن حريق البلنسي (ت622هـ) المنهج والآليات 195

دة. عتيقة السعدي

أهمية جهود الأستاذ بنشريفة محمد في دراسة تاريخ وثقافة المغرب العربي كتاب "ملعبة الكفيف الزّرهوني" نموذجا 231

دة. فوزية بوغنجور

العلامة محمد بنشريفة وأسئلة التراث المغربي الأندلسي. "شروح أندلسية غير معروفة لسقط الزند" أنموذجا 239

دة. نجية نشيط

قراءة في كتاب: "العلامة محمد بنشريفة وفن صناعة التراجم" للدكتورة فاطمة حرار 251

د. مولاي البشير الكعبة

"العاميات" وأثرها في خدمة اللغة العربية من خلال مشروع العلامة محمد بنشريفة 263
دة. مليكة ناعيم

شهادات وكلمات وقصائد شعرية 277
شهادة دة. عصمت دندش حرم المحتفى به 279
شهادة د. أحمد شحلان 281
شهادة د. عبد الجليل هنوش 284
شهادة دة. نجاة المريني 288
شهادة د. حسن جلاب 297
شهادة د. عبد القادر حمدي 301
كلمة المحتفى به: فضيلة د. محمد بنشريفة 304
قصيدة للأستاذ محمد السميح الأندلسي في حق المحتفى به 306
قصيدة د. مصطفى متكل في حق المحتفى به 311
كلمة تأبينية 313
كلمة تأبينية لجمعية إحياء جامعة ابن يوسف في حق الراحل الدكتور محمد بنشريفة 315

ابن عَمِيرة وابن شَريفة: صُحبة تمتدّ ووفاء بالعهد

دة. فاطمة حرار*

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

- تحية إجلال ووقار لشيخنا العلامة المحتفى به سيدي محمد بنشريفة، الذي أحسن الظن بنا، ومنحنا شرف هذا اللقاء بمدينة تعشقه ويعشقها.

- تحية وُدّ وامتنان للأستاذة الفاضلة الدكتورة عصمت دندش، التي كانت لنا السند والموجه والمشجع خلال إعداد هذا اللقاء.

- تحية احترام وتقدير لهذا اللفيف القوي من الأساتذة الأجلاء والضيوف الكرام، هذا اللفيف الذي يشعر بمهابة المقام، ويجعلني أردد شاهدا شعريا للمرحوم عبد الرحمن حجي:

كُثُرتْ حَوْلِي المَحابِسُ حتّى ... كلَّ نُطقي ولات حين بيان

أن لسْتُ مقتدرا على البلاغة بل ... ولو قدرت فما أرضى لكم كَلِمي

مداخلتي المتواضعة هذه، سأفتتحها بوقفة موجزة حول شخصية العلامة: الصانع المبدع، لمحاولة الإجابة عن سؤال شغل الكثيرين: ما السر في القوة العلمية للرجل؟ ما الشاهد على إبداعه؟ أي سر فيه ليؤرخ اسمه في موسوعة "المجمعيون في خمسة وسبعين عاما"[1] من قبل مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

إن صناعة سيرة أبي المطرف أحمد بن عميرة المخزومي وتشييد أعماله الكاملة تحقيقا ودراسة - بعد التنقيب عنها في الخزائن العامة والخاصة وجمع شتاتها وإخراجها إلى النور- خير

---

* - أستاذة باحثة- أكاديمية مراكش - آسفي.

1- المجمعيون في خمسة وسبعين عاما، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، القاهرة، 2007م.

شاهد على إبداع الصانع وتفرده في صنعته، وخير مثال لكشف أسرار قوة الرجل العلمية. وللإحاطة بهذين الجانبين تقترح هذه المداخلة تناول محورين اثنين:

- المحور الأول سيقدم العلامة محمد بنشريفة في سطور، بحثا عن مكامن قوته العلمية، وعن الشاهد على تميزه وتفرده، وعلى تقدير العلماء والمجالس العلمية له.

- المحور الثاني سيتناول صحبة العلامة محمد بنشريفة لرفيق فكره الأديب الأندلسي أبي المطرف أحمد بن عَميرة، بدءا من النواة الأولى التي زرعها في سنة 1964م (حياته وآثاره)، والتي أتت أكلها بأشهى العلوم، حين أغنى النبتة وزادها بسطة بإصداره لدراسات حوله وبإحيائه لكتاب من كتبه تحقيقا وتقديما: "التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات"، وتقديرا منه لهذه الصحبة، قطع على نفسه وعدا قاسيا: إحياء أعماله كاملة بإخراجها من النسيان والضياع وتقريبها للباحث العربي المعاصر. وها هو الصاحب اليوم على العهد يفي بوعوده سنة 2017م - بعد صحبة دامت زمنا في رسوخ مستتب خفية- ليخرج لنا بموسوعة حديثة في ستة أجزاء حول "الأعمال الكاملة لأبي المطرف ابن عميرة"، تجربة تعكس تميزه في فنون عدة: فن الترجمة وفن التحقيق وفن قراءة التراث، وتلامس جل مشاريعه العلمية المتفردة. وبإصداره لهذا العمل رأيناه فخورا سعيدا لتشييده طرفا من أطراف أحد مشاريعه الكبرى: "مشروع جمع مؤلفات مترجميه وتحقيقها"، سعيدا بتوفيقه ووفائه بالعهد، سعادة الشهم الهمام بتشييد أركان النصر، والوفاء بالعهد نصر، وبناء صرح من صروح الفردوس المفقود نصر، ومع هذا الإصدار الجديد جدد عهدا قديما وأحيا وداصميما.

عمل بهذا الحجم يستحق أن يحتفى به وبصاحبه وبصُحبة صاحبه، من خلال تقديمه في سطور تتناول معاشرة المحتفى به لهذه الشخصية الأندلسية من سنة 1963م إلى اليوم، مع التركيز من جهة على "الصانع المبدع" وتجليات الإبداع وجوانب التجديد في صناعته لشخصية ابن عميرة وبناء أعماله الكاملة، وبناء عليه بنيت مباحث هذه المداخلة على الشكل التالي:

- المحور الأول: العلامة محمد بن شريفة في سطور، بحثا عن تجليات قوته العلمية

1- تجليات قوته العلمية ومظاهرها.

2- الشاهد على قوته وتميزه.

- المحور الثاني: العلامة محمد بن شريفة: صحبته الطويلة لابن عميرة ووفاؤه بالعهد

1- بناء سيرة ابن عميرة: الوظيفة والمنهج.

2- تحقيق كتاب "التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات" لابن عميرة.

3- صناعة موسوعة حديثة: "الأعمال الكاملة لأبي المطرف ابن عميرة".

المحور الأول

العلامة محمد بنشريفة في سطور، بحثا عن أسرار قوته العلمية

1- تجليات قوته العلمية ومظاهرها:

1-1 النشأة والانتماء:

سئل العلامة يوما: ما سر قوتك العلمية والمعرفية ومع أول عمل أكاديمي؟ فرد مبتسما: "كادت الهِمَم أن تفعل"[2]، وأضاف مفسرا، همة تنظر إلى ما عمل الكبار وفحول التراث العربي في العصر الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي والأندلسي والمغربي، همة لا ترضى ولا تقبل بأدنى مما قدموه، فهم القدوة، والانتماء إليهم قوة، وكان لذلك أثر كبير على إبداعاته وفضل أكبر في انفتاحه على مشاريع كبرى متنوعة، يتلاقح فيها التراث العربي بتلويناته وعصوره، ويتقارب التراث المشرقي بالمغربي والأندلسي ليتنج لنا مثقفا موسوعيا متفردا، أخذ من كل جميل الأجمل.

لقد كان العلامة دائما يحمد الله ويشكره على ما أنعم عليه - فعل أصحاب الكرامات الذين يؤمن بهم ويؤرخ لبعضهم- يحمد الله على انتمائه إلى جيل محب للغة العربية، جيل تحمل عبء الدفاع عنها وخدمتها باعتبارها لغة القرآن والآداب والثقافة الإسلامية، كما يعتز بانتمائه إلى حقبة الانفجار التأليفي بمصر والشام، واستفادته من آثارها وعلمائها، أمثال: العقاد وأحمد أمين والمازني وطه حسين وتوفيق الحكيم وغيرهم.

من أسرار تميزه أيضا، نفسه المحبة للتميز العاشقة لارتياد الميادين الشائكة والإتيان بالجديد، يقول: "وقد شرطت على نفسي أن أرتاد ميدانا من الميادين المتروكة في الأدب الأندلسي والإتيان بشيء مبتكر يضيف إلى العلم شيئا جديدا"[3].

1-2 الثقافة الموسوعية:

يتميز العلامة محمد بنشريفة بثقافته الواسعة، لتنوع اهتماماته وكتاباته في مجال البحث العلمي، فهو محقق للتراث الأندلسي المغربي المغمور، وصانع للسير المنسية ومؤرخ لتاريخ الأدب المغربي الأندلسي وناقد ولغوي... يملك رؤية علمية شمولية للتراث، رؤية ممتدة تحتوي

---

[2]- لقاء مع العلامة محمد بنشريفة في منزله بالرباط يوم الخميس 06 يوليوز 2017م (من 05 إلى 07 مساء).

[3]- أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي: حياته وآثاره، محمد بنشريفة، تصدير محمد الفاسي، مطبوعات الرسالة، الرباط، 1966م، ص: 6.

أشكال العلوم والفنون على اختلاف مشاربها، وتهدف إلى بناء معرفة شاملة بالتراث الأندلسي، ومن وجوه هذا التناول الشمولي:

- الانفتاح على الأشكال المعرفية في الثقافة الأندلسية بعلومها وفكرها وآدابها وفنونها المختلفة.
- انفتاح التراث الأندلسي المغربي على التراث العربي والأجنبي، والبحث في الصلات الثقافية بين العام والخاص.

فأما الوجه الأول فيتجلى في اهتمام العلامة بالتراث الأندلسي المغربي في مجال الأدب:

حقل الشعر والشروح والأمثال والأزجال والتراجم والبلاغة والفلسفة والتاريخ والمنطق والفقه والنوازل والحكم والخطوط والفلاحة والرياضيات والموسيقى... وكان في كلها يثبت انتماء هذه الأجناس عن جدارة إلى الأدب العام، ويثبت انفتاحها على بعضها انفتاحا إيجابيا، وهذا التنوع والغنى الذي يتسم به مشروعه العلمي دليل على نضج فكري وعلى إلمام بهذا التراث ككل لا يتجزأ، ودليل على تفرده وقوته في ميدان تخصصه، وعن هذا التميز يقول الدكتور محمد العمارتي: "يصعب على الفرد الواحد أن يمسك بقسمات وملامح مشروعه المتعددة"[4]، والعجيب في هذا الغنى والتنوع، إحياؤه للمجالات المنسية، كإحياء التراث العامي والشعبي المتمثل في الأزجال والأمثال، ميدان صعب ومهم للغاية، لأنه، في نظره، يقدم لنا الوجه الثاني للتراث الأندلسي، وجه منفتح على أشكال فنية متجاورة، وجه منسي أحياه واعتبره أحد مشاريعه الكبرى، فرد له الاعتبار واشتغل فيه كفن أصيل لا يقل قيمة عن الأدب الفصيح، بل ينافسه ويضاهيه. ولإحياء هذا الوجه المنسي من التراث جمع كل ما له صلة بموضوع الأمثال والأزجال ولمّ شتاتها من المصادر المتفرقة في كتابه "تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب" بأجزائه الخمسة، فأدخل هذا الإنتاج "من الباب الواسع إلى الدراسات الأندلسية"[5].

وأما الوجه الثاني لرؤيته الشمولية للتراث، فيتجلى في موسوعيته وإلمامه بالتراث العربي، إنه ينتصر للمدرسة العربية في إطار اشتغالها بالتراث الأندلسي المغربي، ويهتم بهذا الأخير في علاقته بالتراث العربي عموما، من أعماله الدالة على ذلك:

- أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة[6].

---

[4]- الأزجال الأندلسية بين العميدين محمد بنشريفة وإميليو غارسيا غوميث، الدكتور محمد العمارتي، ط1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2017، ص: 27.

[5]- تاريخ الأمثال والأزجال في الأندلس والمغرب، محمد بنشريفة، منشورات وزارة الثقافة، 2006م، ص: 15.

[6]- أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، محمد ابن شريفة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.

- ابن الشعار الموصلي[7].
- تحقيق "روضة الأديب في التفضيل بين المتنبي وحبيب" لابن لبال الشريشي (582)[8].
- ديوان أبي فراس الحمداني "حسب الرواية المغربية"[9].
- شرح ديوان أبي فراس الحمداني، لابن خالويه، "حسب المخطوطة التونسية" لسنة 548هـ[10].
- شرح المختار من شعر أبي الطيب المتنبي، لابن عبد ربه الحفيد (ت602هـ)[11].
- شروح أندلسية غير معروفة لـ "سقط الزند"[12].
- دور المكتبات في النهضة العلمية[13].
- مدريد حضور إسلامي عبر العصور[14].
- طه حسين والتراث الثقافي الأندلسي المغربي[15].
- بين الأدبين العباسي والأندلسي[16].

---

[7]- ابن الشعار الموصلي، محمد بن شريفة، مجلة الأكاديمية، الرباط، ع9، 1992م (87- 100).

[8]- ضمن كتاب: أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، محمد ابن شريفة (صص: 171- 224).

[9]- ديوان أبي فراس الحمداني "حسب الرواية المغربية"، إعداد محمد بن شريفة، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000م.

[10]- شرح ديوان أبي فراس الحمداني لابن خالويه "حسب الرواية التونسية"، إعداد محمد بن شريفة، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000م.

[11]- شرح المختار من شعر أبي الطيب المتنبي، لابن عبد ربه الحفيد (ت602هـ)، النصف الثاني، قام بإخراجه والتقديم له الدكتور محمد بنشريفة، ط1
مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 2011م.

[12]- شروح أندلسية غير معروفة لـ "سقط الزند" قام بإخراجها والتقديم لها الدكتور محمد بنشريفة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 2011م.

[13]- محاضرة ألقاها الدكتور محمد بنشريفة في دار الحديث الحسنية بالرباط بتاريخ 24 فبراير 1993م.

[14]- عرض ألقي في ندوة "حول الأصول العربية لمدينة مدريد التي أسسها المسلمون في القرن التاسع الميلادي على يد الأمير محمد بن عبد الرحمن..."، نظمتها فيدرالية الجمعيات الثقافية في مدريد يوم 26 مايو 1989م.

[15]- طه حسين والتراث الثقافي الأندلسي المغربي (ملحق العلم الثقافي، الرباط، ع 789، س21، السبت 17 نونبر 1990م)، وهو بحث ألقاه في ندوة الاحتفال بـ "ذكرى ميلاد طه حسين التي نظمها المركز الثقافي المصري بالرباط، يوم الاثنين 26 نونبر 1990م.

[16]- ألقي في المدرسة العليا للتعليم بتواكشوط، بتاريخ: 02-05- 1977م.

- التواصل الأدبي والعلمي بين المغرب والمشرق[17].
- شرح الأعلم الشنتمري لشعر المتنبي في صباه[18].

ومن مشاريعه الناطقة بهذه القوة الموسوعية:

- مشروع شروح الدواوين العربية.
- مشروع الصلات الثقافية بين المغرب ومصر.
- مشروع الصلات الثقافية بين المغرب ودول إفريقية.
- مشروع اللاجئين من الأندلس إلى المغرب وتونس.
- مشروع التراث الشفوي (الأمثال والأزجال..).
- تحقيق مؤلفات مترجميه.

1-3 الاختيارات العلمية والانشغالات الفكرية:

من مظاهر قوته وتفرده، طبيعة اختياراته العلمية وانشغالاته الفكرية، التي ميزت تعامله مع التراث العربي عموما، وهي اختيارات تخدم القارئ المعاصر وتواكب متطلبات العصر، فالعلامة ينطلق دائما في اختيار أبحاثه من السؤال التالي: ما هي الفوائد التي يمكن أن يجنيها الباحث من هذا النوع من الكتابة؟. ومن انشغالاته:

❖ **الانشغال بظاهرة المخطوطات مجهولة المؤلف:**

فقد ركز اهتمامه العلمي على موضوع شائك حول ظاهرة عاصرها، وأبى أن يغمض عينيه ويتجاوزها على صعوبتها - كغيره من المفكرين المعاصرين- بل اقتحمها بشجاعة وانفتح بها على العوالم الخارجية لإشراك العالم في حلها: "ظاهرة المخطوطات مجهولة المؤلف"، بل كانت عنوانا لدراسة من دراساته التي ألقاها بمؤسسة الفرقان بلندن: "ظاهرة المخطوطات مجهولة المؤلف: المخطوطات التاريخية والجغرافية مثالا". وانشغاله بهذه الظاهرة جعلت جل عناوينه يغلب عليها طابع التصويب والتصحيح، أو طابع الكشف والإتيان بجديد غير مسبوق، لتأكيد صناعته للخبر، وقد تأتي في شكل سؤال لتحيل على قيمة الموضوع وجدته، مثال ذلك:

- تحقيق اسم سبتي: ابن بياع لا ابن زنباع (مجلة المناهل، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، ع22، س 9 يناير 1982).

---

[17]- التواصل الأدبي والعلمي بين المغرب والمشرق (معد للنشر).

[18]- شرح الأعلم الشنتمري لشعر المتنبي في صباه (معد للنشر).

- ابن عبد ربه الحفيد هل هو مؤلف كتاب الاستبصار؟ (مجلة الأكاديمية، ع7، دجنبر، 1990).
- كيف ظهر ضريح القاضي عياض (أعمال ندوة جامعة القاضي عياض بمراكش، ع 6، 1990).
- حقائق تاريخية جديدة من خلال ديوان ابن فركون (عبد الله كنون بين التكريم والتأبين، جمعية مكتبة عبد الله كنون، طنجة، 1991 - العلم الثقافي، السبت 01 نونبر 1986، ع799، س16).
- من منافرات العدوتين: نص جديد (تقديم وتحقيق محمد ابن شريفة (مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، ع1، يناير 1977، مطبعة دار النشر المغربية، البيضاء).
- من الجديد في تاريخ الموسيقى الأندلسية (بدعوة من وزارة الثقافة).
- من الجديد في شعر ابن الخطيب (ندوة "ابن الخطيب"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، س2، ع2، 1987م).
- نصوص جديدة حول ابن رشد (الندوة التراثية الأولى عن أبي الوليد ابن رشد الفقيه الطبيب الفيلسوف، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، الكويت، يناير، 1955م).
- آفاق جديدة لدراسة المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي (ندوة المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي، مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية بالبيضاء، أيام 7- 8- 9 أبريل 1988).

❖ **الانشغال بتقديم مداخل لدراسة الفكر المغربي الأندلسي ومعالجة قضاياه:**

ألقى العلامة باعه على التراث منذ بداية تجربته العلمية، مع أول عمل أكاديمي له تحت إشراف أمجد الطرابلسي (ت2001هـ)، همه الأكبر تقديم مداخل لدراسة الفكر المغربي الأندلسي، ودراسة هذا التراث ليست غاية في حد ذاتها فحسب، بل وسيلة لإبداء معالم الحضارة الأندلسية، واستجابة لحاجة ملحة تطلبتها وضعية هذا التراث: حاجة عصوره، خاصة العصر الموحدي، إلى تجلية حقائقها التاريخية والأدبية، ووثائقها التي طواها الإهمال، ساعده على ذلك تفاعل النصوص التراثية في ذاكرته.

❖ **الخوض في المواضيع المتروكة من الأبحاث دراسة وتحقيقا وتأليفا:**

فقد كان مولعا بالجوانب المجهولة عند عامة الباحثين، وكان ذلك سر تميزه، من ذلك تخليد أخبار رجالات الفكر والأدب العربي المغمورين، والتنقيب عن آثارهم وجمعها وتناولها بالدرس والتعليق، فوهب حياته العلمية للبحث عن الآثار المخطوطة لأدبائنا في الخزانات العالمية وتحقيقها حتى تستفيد منها الأجيال المقبلة.

❖ الانشغال باللغة العربية:

انشغل بعلومها، بجانب انشغاله بقضاياها، من ذلك دراساته:

-"مفهوم التمليح عند الأندلسيين".

-" حول ضبط كلمتي الأرك والعقاب".

-" بين مفهومي المقاومة والجهاد".

-"مفهوم أريحية الأدب" ...

وبالرغم من انشغالاته الإدارية وعملها المضني وكثرة تنقله وظروف الانتقال... والتي أخذت منه وقتا ومجهودا كبيرا، لم يستكن أو يتوقف عن انشغالاته تلك. وبعد استقراره نجده يغني الخزانة المغربية والعربية بتأليفاته وتحقيقاته ودراساته التي راكمها خصوصا في سنة 1990م وما بعدها.

2- الشاهد على قوته وتميزه:

2-1 شهادات العلماء والمجالس العلمية:

وهي اعترافات من أفواه العلماء وتقييم المجالس العلمية في حق المحتفى به، فقد عرف تقديرا خاصا من علماء المشرق والمغرب والاستشراق وغيرهم:

- الدكتور **أمجد الطرابلسي**: "لم يخدم العربية من العلماء في المغرب أحد في عصرنا مثلما خدمها هذا الرجل (وأشار إليه)"[19].

- الأستاذ **محمد الفاسي** (ت1975م): في تصديره للرسالة الجامعية "أبو المطرف أحمد بن عميرة"، قال عنها: "من أهم ما صدر عن باحث مغربي في العصر الحاضر... فقد نجح نجاحا تاما..."[20].

- شهادة الدكتور **شوقي ضيف** (ت2005م) والدكتور عبد الحميد يونس حول رسالته لنيل الدكتوراه سنة 1969م: "أحسن ما قدم لجامعة القاهرة على مدى عمرها الطويل".

---

[19]- جهود الأستاذ العلامة الدكتور محمد بن شريفة في خدمة اللغة العربية بالمغرب، محمد قرقزان ضمن ندوة "تحقيق التراث المغربي الأندلسي: حصيلة وآفاق" تكريما للأستاذ محمد بن شريفة، منشورات كلية الآداب، وجدة رقم 16، سلسلة ندوات ومناظرات 4، طبعة 1، 1997م، ص: 373- 383.

[20]- أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي: حياته وآثاره، محمد بن شريفة، تصدير محمد الفاسي، مطبوعات الرسالة، الرباط، 1966م، ص: 4.

- شهادة الدكتور **محمد بن تاويت الطنجي** (ت1974هـ): "طالبنا المفضل لنا وزميلنا العامل في حقلنا... مثقف ثقافة عربية أصيلة ولا شائبة فيها لغيرها..."[21].

- الدكتور **محمد عزيز الحبابي**: قال بمناسبة نيله جائزة الملك فيصل الدولية: "إنك أيها الصديق العزيز محمد ابن شريفة عالم (بمدلول المفهوم الكامل للعلم) وشيخ من شيوخ البحث والتحقيق الجديرين بهذا النعت... تخصصت في الأندلسيات فأحطت بها إحاطة من يرحمهم الله، لأنهم كلما قاموا بعمل أتقنوه..."[22].

- الدكتور **محمود علي مكي**: "لم يكن من الغريب أن يشهد عضوا لجنة المناقشة وهما الأستاذان الدكتور شوقي ضيف... والدكتور عبد الحميد يونس... بأن تلك الرسالة تعد من أحسن ما قدم لجامعة القاهرة على مدى عمرها الطويل"[23].

- الدكتور **محمد الكتاني**: "فارس الحلبة وصدر كل مجلس علم وغرة منتداه في تخصصكم أو في مسالك البحث في الأدب العربي وتراثه"[24].

- **عز الدين عمر موسى** (كلية الآداب، الرياض): "... كانت له ثقافة شمولية ونظرة كلية تجده قد تميز وتفرد... وهذا نوع نادر عزيز... وعدده قليل، فمن الرعيل الأول أحمد زكي باشا في مصر... ومن الأحياء أستاذ الجيل إحسان عباس... والمحتفى به محمد بن شريفة... باحث عن الأثر المخطوط، وله مصنفا ومحققا ودارسا... ولكن له طريقته المتفرد بها والتي ليس له فيها شبيه إلا أستاذنا محمد الفاسي رحمه الله "[25].

---

[21]- كتاب التعريف بالقاضي عياض، تحقيق الأستاذ محمد بنشريفة، تقديم وتعليق الأستاذ محمد بن تاويت، مجلة دعوة الحق، العدد الأول، السنة السابعة عشرة، ماي، 1975م.

[22]- "النبوغ المغربي"، محمد عزيز الحبابي، العلم الثقافي، عدد 860، السنة 17، السبت 30 يناير، 1988م، ص: 3.

- ينظر كذلك: "محمد بن شريفة: سيرة وبيبليوغرافيا"، إعداد عبد العزيز الساوري، تقديم مصطفى الغديري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية رقم11، سلسلة ندوات ومناظرات رقم4، جامعة محمد الأول، 1995، ص: 79- 80.

[23]- كلمة الأستاذ محمود علي مكي، ضمن ندوة "تحقيق التراث المغربي الأندلسي: حصيلة وآفاق"، تكريما للأستاذ محمد بن شريفة، ص: 35.

[24]- كلمة الدكتور محمد الكتاني، ضمن ندوة "تحقيق التراث المغربي الأندلسي: حصيلة وآفاق"، تكريما للأستاذ محمد بنشريفة، ص: 45-47.

[25]- طريقة محمد بن شريفة في تحقيق التراث ودراسته، عز الدين عمر موسى، ضمن ندوة "تحقيق التراث المغربي الأندلسي: حصيلة وآفاق"، تكريما للأستاذ محمد بن شريفة، ص: 421.

- عبد العالي العمراني جمال: " يتنفس الشعر والأدب، ويمشي بهما"[26].

كما قدرته المجالس العلمية، واعتبرت حضوره - مشاركا كان أو ضيفا وموجها- تشريفا ومكرمة تتبرك به المجالس، وعنوانا على خدمته للثقافة العربية.

ولمكانته العلمية، أشرف على إنجاز "معلمة الخط المغربي" التي كونتها أكاديمية المملكة المغربية بالرباط للعناية بجمع الوثائق وتصوير نماذج من المخطوطات، والاتصال بالهيئات المهتمة والباحثين، كما شارك في لجنة العلوم الإنسانية لتحرير بعض مواد معلمة المغرب، من إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة بالرباط.

وقد شهد له أهل عصره من العلماء باختزانه للتراث المغربي الأندلسي ليشغل منصب أستاذ كرسي الأدب الأندلسي منذ سنة 1970م إلى تاريخ إحالته على المعاش سنة 1995م،

ويشارك أستاذه أمجد الطرابلسي في تأسيس أول تخصص في الدراسات العليا.. ومن حسنات هذا الاختزان أن أصبح عميدا للدراسات الأندلسية في العالم العربي والإسلامي، والمدافع عن فنونها وأجناسها، والكاشف عن غابر نصوصها ومخطوطاتها.

2-2 السبق المعرفي والفوز بالمراتب الأولى:

لقد توجت مجهودات العلامة بحصوله على عدد مهم من الأوسمة القيمة والجوائز الوطنية والعالمية، وكان - ومازال - سباقا وفي أول القائمة في كل شيء، فهو:

- في طليعة **أول** فوج حصل على الإجازة من كلية الآداب بالرباط، جامعة محمد الخامس، عام 1960م.

- **أول** من حصل على دبلوم الدراسات العليا في الأدب من الكلية المذكورة عام 1964م.

- مثل **أول** أطروحة لنيل درجة الدكتوراه يتقدم بها مغربي بكلية الآداب، جامعة القاهرة، بمرتبة الشرف الأولى في فبراير 1969م.

- **أحسن** ما قدم لجامعة القاهرة على مدى عمرها الطويل: رسالته لنيل الدكتوراه سنة 1969م، بشهادة شوقي ضيف وعبد الحميد يونس.

- ضمن الرعيل **الأول** الذي عينه صاحب الجلالة المرحوم الحسن الثاني في أكاديمية المملكة المغربية في فجر تأسيسها (حسب شهادة محمد الكتاني).

---

[26]- "ابن شريفة والسيرة الوثائقية"، السيد عبد العالي العمراني جمال (في يوم دراسي حول كتابة السيرة في الفلسفة، الاثنين، 26 ماي، 2003م، بكلية الآداب، جامعة القاضي عياض بمراكش.

- أول مغربي حاصل على جائزة الملك فيصل العالمية سنة 1988م.

المحور الثاني

العلامة محمد بنشريفة: صحبته الطويلة لابن عميرة ووفاؤه بالعهد

"أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي: حياته وآثاره"، أول رسالة جامعية تناقش في الأدب العربي بالمغرب، وصاحبها أول حاصل على الشهادة في الأدب بميزة جد حسن، فكانت البداية مباركة، بداية صحبة علمين: ابن عميرة وابن شريفة، صحبة أثمرت ثمارها وتوطدت عبر الزمن، فكانت عهدا يتجدد كل حين، تجدد مع إحياء كتاب "التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات" لابن عميرة، بإخراجه من زمن النسيان، وقبلها كانت للصاحب وقفات مع صاحبه في دراسات منها:

- أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي (مجلة دعوة الحق، ع8 يونيه 1965م).
- أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي(مجلة دعوة الحق، ع 9- 10، يونيه 1965م).
- ابن عميرة قاضيا في الرباط وسلا (مجلة دعوة الحق).
- ابن الأبار وابن عميرة (مجلة دراسات أندلسية، ع2، يونيه 1989م، تونس، ص5. وألقي بملتقى ابن الأبار بتاريخ 20-02- 1989م).
- رسائل أبي المطرف أحمد بن عميرة.
- العدوتان الرباط وسلا من خلال رسائل ابن عميرة.
- ابن عميرة في إفريقية الحفصية.

فكانت تلك الوقفات، على اختلاف زمنها، متداخلة متكاملة، ينفتح بعضها على بعض، الجامع بينها: شخصية ابن عميرة. اليوم يتجدد العهد ثانية، ويرقى الصاحب بصاحبه، بإصدار موسوعة: "الأعمال الكاملة لأبي المطرف ابن عميرة"، وهو عمل مهم يقدم صورة موجزة عن تجربة صاحبه، ووفائه بالعهد الذي قطعه مع قارئه في محطات كثيرة منها قوله: "ونحن نريد من وراء نشرنا "التنبيهات" أن نفي بوعد كنا التزمنا به، ألا وهو نشر آثار أبي المطرف ابن عميرة"[27]، وقوله: "وفي نيتي إن شاء الله التعريف بمن لم يعرف بهم حتى الآن، وكتابة سيرهم ونشر ما يوجد من آثارهم"[28].

---

[27]- التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات، أبو المطرف أحمد بن عميرة، تقديم وتحقيق محمد بن شريفة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1991م، ص: 46.

[28]- ابن حريق البلنسي، حياته وآثاره: دراسة وتحقيق محمد بن شريفة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1996م، ص: 5.

1- بناء سيرة ابن عميرة: الوظيفة والمنهج:

إن شخصية ابن عميرة أكثر الشخصيات لصوقا بالعلامة ابن شريفة، وكان كثيرا ما تأخذه الغيرة على شخصيته هذه، ترجم له ورفع حجاب الخفاء عنه وأضاء حلقاته المبهمة، وأفاد مجال البحث -بترجمته- في شتى ضروب المعرفة، وكان اسمه حاضرا في بناء تراجم أخرى لعلاقة الأعلام المترجم لها ببعضها، فابن عميرة كان تلميذا لصفوان بن ادريس التجيبي (ت598هـ)، وصفوان كان تلميذا لابن مغاور الشاطبي (ت587هـ)... وهي أعلام من تشييد العلامة المحتفى به، وهذا التقارب من شأنه أن يساعد على حل غموض بعضها البعض.

واحتكاكه بهذه الشخصية جعلته يدرك خطورة تقصير المغاربة، وغيرهم، في التعريف بأعلامهم وإظهار مفاخرهم، لاقتصار أبحاثهم على الطائفة المشهورة - وهو بذلك يلمح لقيمة عمله واستباقه لغير المعهود في مجال البحث- فحمل نفسه هذه المسؤولية على ثقلها ومشقتها، فألف وحقق ودرس وأرخ وبنى... مؤمنا إيمانا عميقا -كما قال- بأن أهل المغرب أقدر من غيرهم على بناء أعلامهم وإحياء تراثهم والنهوض به لنفض غبار الزمن عن كنوزه، وجعل بلاد المغرب تحمل العبء الأكبر في إحياء هذا التراث لأسباب أحصاها، منها وفرة مصادره المخطوطة لديهم... وفهم القدرة أكثر من غيرهم على تذوق شعره ونثره[29].

اعتمد العلامة في بناء سيرة ابن عميرة على أربعة أبواب، خص الأول للتحقيق في اسم ابن عميرة ونسبه ومولده وأسرته ودراسته، وفي الباب الثاني حقق في حياته الإدارية والثالث في شخصيته وأدبه، ثم الرابع بنى لائحة لآثاره ومؤلفاته.

التحقيق في اسم ابن عميرة ونسبه:

لقد تحرى الدقة في ضبط الاسم بالشكل الصحيح، وعرض الخلاف الذي دار بين المصادر حول ضبطه، عاملا على تنويع الأدلة لضبط الصواب (ابن عَمِيرة: بفتح العين وكسر الميم) وحسم الخلاف باختيار الأنسب وما يوافق السياق والمنطق والواقع، يقول:

"نجد هذا الاسم مشكولا في بعض المصادر المطبوعة بضم العين وفتح الميم وسكون الياء، وفي النسخ المخطوطة من رسائل ابن عميرة، والذيل والتكملة لابن عبد الملك يرد دائما

---

[29]- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ابن عبد الملك المراكشي، سفر 8، قسم 1، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1984م، ص: 32-37.

مضبوطا بفتح العين وكسر الميم الممدودة وقد تكرر ضبطه هكذا في نسخة دار الكتب المصرية من الذيل والتكملة بزيادة لفظ صح فوقه..."[30].

كما حقق في نسبه المخزومي، والرد على ابن عبد الملك المراكشي وابن الخطيب اللذين نفيا هذه النسبة عنه، "ومهما يكن من شيء فإنه ليس بوسعنا أن نثبت أو ننفي مخزومية ابن عميرة... وكل ما نستطيع قوله هو أن الرجل كان مشهورا عند عارفيه وبين معاصريه بنسبه المخزومي"[31]، ولإثبات ذلك أورد مجموعة من النصوص يشهد فيها بعض أعلام عصره بهذا النسب.

ولادته ووفاته:

حقق المترجم في سنة ولادة مترجمه ومكانها، وعرض للخلاف الذي دار بين كتب التراجم حول تاريخ الولادة ما بين 580هـ و 582هـ، فقام بتحليل الروايات المختلفة ومقابلتها ليرجح في النهاية ولادته في رمضان سنة 582هـ بشُقر[32]. كما صوب خطأ وقع فيه بعض المتأخرين الذين نسبوه إلى شقورة، يقول: "لا يصح أن يكون ابن عميرة منسوبا إلى مدينة شقورة هذه... وقد فات الأستاذ عنان أن يتنبه إلى كلمة شقوري الواردة في الإحاطة إنما هي تحريف لكلمة شقري"[33]، فالأولى عنده نسبة إلى كلمة شقورة والثانية نسبة إلى مدينة شُقْر. وقد اعتمد في تحقيقه على ما يقتضيه المقام ويحدده السياق.

أما تاريخ الوفاة، فقد اعتبرها، كغيره من العلماء القدماء والمحدثين، من أهم أركان الترجمة خوفا من المدلسين. وأمام اختلاف المصادر في تاريخ وفاة ابن عميرة، راكم المترجم قرائن ناطقة ودالة على التاريخ الصحيح ووثقها (بتونس سنة 658هـ)، أما النصوص التي خالفت هذا التاريخ، فقد أثبت العلامة وهمها، فكشف غلط ابن الزبير الذي جعلها في حدود الخمسين أو بعدها، ووهم ابن الخطيب الذي حددها في سنة 656هـ "بدليل رسالته إلى ابن الأبار المؤرخة بسنة 657هـ والتي أشرت إليها فيما سبق"[34]، وهو بذلك لا يقف عند تحقيق وفيات التراجم، بل يتعداه إلى نقد النصوص وبيان أغلاطها وتعزيز الرأي الأقوى بالأدلة، فما كل رواية يثق بها، ولا يقوم بهذا النقد إلا من خبر نصوص التراث.

---

[30]- أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي: حياته وآثاره، ابن شريفة، ص: 33.

[31]- نفسه، ص: 36.

[32]- نفسه، ص: 48.

[33]- نفسه، ص: 45.

[34]- نفسه، ص: 157.

الحياة الأسرية:

أما الحياة الأسرية لابن عميرة، فقد ولع في ترجمته ببنائها، وتجاوزها أحيانا إلى الحياة العائلية، مما جعل صناعته للترجمة أكثر تفصيلا، وأوسع من التراجم التي حررها معاصروه، وجعل مجهوده مضاعفا في مواجهة الغموض والتناقضات، وإزالة التضنن الذي عرفه تاريخ الأسر المغربية والتنقيب عن الشواهد، يقول: "ولسنا نعلم شيئا عن زوجه وتاريخ زواجه، والأسرة التي تزوج منها، والذي يبدو لي أنه قد استنفد شبيبته في تحصيل العلم..."[35]، وقد خص الفصل الثالث من الباب الأول كاملا لحياة ابن عميرة في أسرته[36]، واهتدئ إلى ناحية أهملها كتاب التراجم الأقدمون، هي طفولته.

طفولته:

كشف المترجم عن كثير من الجوانب كانت خفية من حياته في أسرته، وعكف على رسائله ليستقي منها ما يفيده في ترميم أخبار أبويه وزواجه وأبنائه، بعدما قال: "لا نكاد نعرف شيئا عن طفولة ابن عميرة، فكتب التراجم القديمة لا تتحدث عادة عن هذه المرحلة"[37]. كما حاول إثبات صلة والده بأعيان بلده من أهل العلم، وإثبات صلته وصداقته مع بعض كبار العلماء أمثال أبي الربيع الكلاعي، ليخلص إلى النتيجة التالية: توجيه الأب ابنه نحو الحياة العلمية[38].

وفي ترقبه لأسرة ابن عميرة، كان دائم الحذر مما يقرأ، يجابه مواقف المؤرخين والمترجمين والدارسين ويقابل بينها ويقارن.

شخصيته:

جمع المترجم الصفات الجسمية لابن عميرة من كتب التراجم، واستخلصها من آثاره وسلوكه، ومنها: الطموح إلى المعالي، العطف على المحتاج والاهتمام بمصالح المهاجر، الظرف وخفة الروح والانبساط للفكاهة والنكتة، المرونة والدهاء لانتمائه إلى عصر كثرت فيه الاضطرابات السياسية في الأندلس[39].

---

[35]- أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي: حياته وآثاره، ابن شريفة، ص: 58.

[36]- نفسه، ص: 51 – 62.

[37]- نفسه، ص: 65.

[38]- نفسه، ص: 67.

[39]- نفسه، ص: 163-167.

وقد استطاع العلامة أن يبعث الروح في جوانب حساسة من شخصيته المطموسة المنسية، حين كشف أسرارها النفسية ومزاجها وطبائعها وصفاتها.

ثقافته:

أما ثقافة المؤلف، فقد اعتبرها عاملا مساعدا على اقتراح تأويلات مناسبة لنصوصه وإبداعاته وتحليل أهدافه من الكتابة والتدقيق في مدى مشاركتها في حل هموم عصرها. وفي بنائه لثقافة ابن عميرة جعل كتابه "التنبيهات" خير مثال يصور ثقافته النقدية والبلاغية، وأثر الملامح الفلسفية فيها[40].

إن دفاع المحقق عن ثقافة ابن عميرة، جعلته ينتصر لكتابه، ويجعل قدره كبيرا في النثر الديواني، بل عده "ثاني مجهود أندلسي في سبيل المزاوجة بين البلاغة اليونانية والبلاغة العربية أو محاولة تطبيق الأولى على الثانية"[41]، بعد محاولة ابن رشد في تلخيصه لكتابي الخطابة والشعر.

وللنظر في ثقافة ابن عميرة، نظر العلامة إلى شخصيته وإلى عمله الأدبي من خلال البيئة التي أنشأته ومؤثراتها السياسية والأدبية، وانطلق من العام إلى الخاص لتصوير الشخصية فاعلة منفعلة بمجتمعها، وكان مقتنعا بأن الحياة السياسية والأدبية للعصر لها أثر على حياة المترجم له، ولها دور في تقييم مساهمة المؤلف في بناء عصره وتمثيله له، وهذا الجانب من الترجمة يساعد على التعمق في فهم الأثر[42].

عصره:

إن دراسة عصر ابن عميرة عند العلامة، هي دراسة لتاريخ أدب الأندلس والمغرب، ولفتراته التاريخية المغمورة في مقابل سكوت المصادر التاريخية أو تمويهاتها. فكيف ساهم في بناء سجلات الترجمة؟

لقد اهتم المترجم اهتماما خاصا بعصر أبي المطرف، وألقى الضوء على مميزات فترته التاريخية الممتدة من القرن السادس الهجري إلى منتصف القرن السابع، فتعرض للناحية

---

[40]- التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات، ابن عميرة، ص: 9.

[41]- نفسه، ص: 11.

[42]- تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، محمود المقداد، كتاب عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 167، نونبر 1992م، ص: 207.

السياسية، وما عرفته منطقة المغرب والأندلس من تقلبات في هذا العصر الذي اعتبره من أغنى العصور بالأحداث التاريخية في الغرب الإسلامي[43]، إنها مرحلة تعكس شخصية ابن عميرة، لاشتراكه في صنعها ولصلته بأهل عصره، بحكم تقلده لوظائف كتابية في الأندلس والمغرب وإفريقية، ولجمعه بين نواحي السياسة والعلم والأدب. وليجلو صورة الترجمة من خلال عصرها يقتصر على الجوانب ذات الأثر المباشر على حياة المترجم له.

شيوخه:

وفي تحديده لشيوخ ابن عميرة، أكد العلامة صلته بأبي الربيع الكلاعي، اعتمادا على المخاطبات الشعرية والنثرية بينهما[44]، وحدد مكان رواياته عنه -وكان أكثرها بالسماع- وأثر الشيخ في حياة المؤلف وثقافته، فجاء تعريفه بالشيوخ مستفيضا غنيا يعكس صورة العصر الثقافية، وجاء توثيقه لمصادرهم المطبوعة والمخطوطة مفيدا. وقد تتبع إحصاء شيوخه ليؤكد حقيقة نفاها بعض النقاد، وهي أن شخصية صاحبه تفيض عليها.

حياته الإدارية:

تعتبر حياة التوظيف وخصوصيتها، من دوافع اختيار العلامة لشخصية ابن عميرة، فقد أثاره طموحه إلى المعالي وشغل المناصب الرفيعة، لمواهبه الكتابية وثقافته الأدبية، وصور حياته الإدارية في خدمة الأمراء والملوك[45].

حقق المترجم في مراحل حياة ابن عميرة الإدارية، وصحح الأغلاط الواردة في المصادر حول توليه القضاء في أول نشأته، يقول: "وفي هذا الكلام إجمال وافتقار إلى التدقيق، ويمكن الاعتراض عليه من جهتين: أولاهما أن ابن عميرة اشتغل أول أمره بالكتابة قبل أن يشتغل بالقضاء، ونص ابن سعيد صريح في ذلك..."[46].

ولعل غموض المرحلة وسعي المترجم إلى التدقيق في تفاصيل حياة مترجمه، جعله يستكثر من عبارات: لسنا نعرف، لسنا نعلم، لا ندري، نحن نستبعد....

---

[43]- أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي: حياته وآثاره، ابن شريفة، ص: 17.

[44]- التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات، ابن عميرة، ص: 67.

[45]- أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي: حياته وآثاره، ابن شريفة، ص: 164.

[46]- نفسه، ص: 86.

الحياة الأدبية:

كلف المترجم نفسه مشقة البحث في تراث مترجمه، وفي نفسه بعض الأسى والحسرة على ضياع جله، فعزم على جمعه والتحقيق في تاريخه ومناسباته ونسبته إلى مؤلفيه.

والعلامة في تناوله الحياة الأدبية لابن عميرة، خبر رسائله الديوانية والإخوانية، فوضعت تلك الخبرة في يده الخيط الأول للوصول إلى تأليفاته، وما زاد من قيمة تلك الرسائل كونها "صادرة عن رجل عاش أحداث حقبته واشترك في صنعها أحيانا"[47]، وعايش مرحلة لم يبق من تاريخها إلا إشارات يسيرة، وقد تتبعها بالوصف الدقيق لقيمتها في الكشف عن تحريف المصادر المسيحية وتناقضها، وفي إضاءة تاريخ تلك الحقبة المظلمة، وتأسيس حلقة لم تدرس بعد في سلسلة تطور النثر الأندلسي.

وخدمة لهذا التراث، جمع المحقق تلك الرسائل المتفرقة في المصادر المطبوعة والمخطوطة، وقدم وصفا تاما لنسخها وناسخيها وتاريخها وأوراقها، وتحديد أولها وآخرها.

- واعتمد الطريقة نفسها في وصف كتاب "التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات"- وكشف من خلالها بعض أوهام الدارسين والمترجمين، ومنها نسبة كتاب "التنبيه على المغالطة والتمويه" إلى أبي المطرف أحمد بن عميرة بسبب ضياع الورقة الأولى من هذا المخطوط، وعدم وجود نسخة أخرى منه، وسكوت المصادر والفهارس عن الإشارة إليه[48]، ومن هؤلاء المستشرق الألماني كارل بروكلمان، وتبعه في ذلك جرجي زيدان وحسن حسني عبد الوهاب وخير الدين الزركلي وغيرهم[49]، وهؤلاء، لم يتمكنوا من الاطلاع على المخطوط نفسه، حسب رأيه، وهو شرط أساس في تحقيق النسبة، ولو فعلوا لوجدوا إشارات صريحة في أن الكتاب ألف في الرد على أديب يدعى أبا المطرف، ولمزيد من التدقيق والبحث، حقق في اسم صاحب الكتاب، وقدم ملامح من شخصيته[50]. كما رد على الوهم الذي وقع فيه المستشرق

---

[47]- أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي: حياته وآثاره، ابن شريفة، ص: 184.

[48]- نفسه، ص: 269.

[49]- نفسه، ص: 270.

[50]- نفسه، ص: 270.

درمبورغ[51](H. derembourg) حين اعتقد أن كتاب "التنبيه" جاء للرد على أبي المطرف، وقد كشف خطأه مبررا سبب وقوعه فيه[52].

وبتشييده لهذه الشخصية الأندلسية التي أحاطها الغموض والغلط قبلا، حقق مطلبا عزيزا: تشييد لبنة أولى من لبنات صرح الفردوس المفقود، صرح تاريخ الأدب المغربي الأندلسي، لبنة بناها بعشق وخلق منها وثيقة تاريخية مهمة. وكان في بنائه يجابه المؤرخين، ويكشف مواطن الغلط وأوهام الدارسين - وإن كانوا من أمثال ابن الزبير وابن الخطيب والزركلي وكارل بروكلمان...- وينتقد النصوص ويكشف أغلاطها معززا رأيه بأقوى الأدلة.

مصادر ترجمة المؤلف:

اهتم العلامة محمد بنشريفة ببناء ترجمة صاحبه، بالإحالة عليها وتوثيقها ودراستها، فقابل بعضها ببعض، وكشف الخلط الذي وقع فيها، وعمل على تقييمها وتقويمها، وهو جانب ملح من جوانب الترجمة، بل لقد تجاوز ذلك إلى تحديد مصدر المصدر في الترجمة. وأمام ندرة مصادر الترجمة وسكوت كتب الرجال والفهارس، عمد المترجم إلى النقد الداخلي لتصبح آثار ابن عميرة الشعرية والنثرية مصدرا لترجمته، وغنى لشخصيته الأدبية.

خطة العلامة في بناء ترجمته:

لقد كان العلامة في تخطيطه للترجمة يترقب الجزئيات، متمسكا بعرض محفوظه من نوادر التراث، فترجمته حافلة لتفصيلات دقيقة، لأن العبرة عنده هي "الترجمة الإخبارية" وتركيبها من مواد مبعثرة، لإعادة ترتيب الذاكرة المغربية، وإعادة إحياء سلسلة رجالاتها، عبر التحقيق في شيوخ ابن عميرة وتلامذته ومعاصريه وأسرهم لإحيائها جميعها وتقديم معجم فني لأسماء الأعلام، مع ترابط تلك المكونات التي لا يقل أحدها أهمية عن الآخر.

لقد استعمل وفرة المعرفة المتصلة بالعلم على تنوعها، وعلى رأسها المعرفة التاريخية، إيمانا منه بأن دراسة عصر المؤلف وشيوخه وتلامذته لا تتم أبدا دون هذه المعرفة، فساءل التاريخ، واعتبره أساسا لإحياء الذاكرة المسجلة، وبالرغم من اعتماد الترجيح والتخمين في بناء الترجمة، إلا أنه كان يجتهد في خلق التواصل مع القارئ، فيعمد إلى تعميق الإقناع بالتوسل إلى أدوات تماسك النص وانتظامه، نحو بناء التراجم على الاستشهاد والتعليل والنقد، وهي علامات

---

[51]- أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي: حياته وآثاره، ابن شريفة، ص: 271.

[52]- نفسه، ص: 283.

كبرى لإرشاد القارئ إلى المواقع المهمة في العمل، ولدفعه للمشاركة في البناء من خلال تمرير الأسئلة الانفتاحية في حالة غياب الأدلة، أو استدراجه لاتخاذ موقف وتحمل مسؤولية المتابعة، وهو بذلك يعمل على إشراك المتلقي عن طريق السؤال والضمير، بمخاطبته وإدخاله في عملية البناء، وكان في توثيقه واستشهاداته يستكثر من الشواهد الشعرية، ويستجلب الحكايات، باعتبارها نوافل فروض الحقائق، ومراوح النفوس في كد الأفكار[53].

ومن حق العلامة محمد بنشريفة أن يعتز بصناعته لهذه السيرة حين صرح قائلا بأن الأستاذ المرحوم أمجد الطرابلسي عندما قرأ هذا العمل وأعجب بتميزه وقوته، طلب منه أن ينشره على الفور كما هو، وشاركه، بعد ذلك، تأسيس أول تخصص في الدراسات العليا سنة 1970م. من حقه أيضا أن يفخر بشهادة أستاذه العلامة المرحوم محمد الفاسي في تصديره للكتاب.

2- تحقيق كتاب "التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات" لابن عميرة: الوظيفة والمنهج:

وإيفاء منه بالوعود التي قطعها على نفسه في بداية تجربته العلمية، نهض بنشر كتاب "التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات" كأول تحقيق لأعمال ابن عميرة، ليضيف من جهة حلقة جديدة إلى الحلقات المعروفة في سلسلة البلاغة العربية[54]، ويحمي من جهة ثانية مصدرا مهما للدفاع عن شخصية ابن عميرة، وعن قيمة هذا الأثر المكتشف، وعن قضية حساسة تتعلق بمشاركة المغاربة والأندلسيين في علم البيان، يقول: "ونحن نريد من وراء نشرنا التنبيهات، أن نفي بوعد كنا التزمنا به ألا وهو نشر آثار أبي المطرف ابن عميرة"[55]، وهو كتاب عده العلامة المحقق من صميم كتب النقد والبلاغة، ألفه ابن عميرة للرد على كتاب "التبيان في علم البيان" لأبي محمد بن عبد الكريم ابن الزملكاني (ت651هـ)، أخرجه المحقق في حجم متوسط يقع في مائة وستين صفحة، خمسون منها للمقدمة، واعتمد في إخراجه على نسختين جيدتين اعتبرهما في درجة واحدة، فأثبت الفروق الموجودة بينهما في الحواشي وعارضهما بمصادر النص واقتباساته وبمصادر التخريجات.

---

[53]- روضة التعريف بالحب الشريف، لسان الدين بن الخطيب، عارضه بأصوله وعلق حواشيه وقدم له محمد الكتاني، ط1، دار الثقافة، بيروت 1970م، ص: 104.

[54]- التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات، ابن عميرة، ص: 46.

[55]- نفسه، ص: 46.

وتمثل لوحة الغلاف جزءا مكملا للعنوان، تحمل صورة زخرف معماري أندلسي، صورة باب يمثل مدخلا للانفتاح على التراث الأندلسي المغربي ببيانه وبلاغته، واعتماد اللون الأحمر والأزرق الباهت للدلالة على بداية انكشاف حقائق، وبروز ملامح جديدة لهذا التراث، متناولا سياقات رمزية عدة: الباب والقوس والزخرف الأندلسي والخط الأندلسي وضبط العنوان بالشكل...

وقد سبق التعريف بكتاب "التنبيهات" في رسالته الجامعية - وإن لم يحقق في نسبة الكتاب لصاحبه- وخلال تحقيقه سنة1991م، اعتمد على ما حرره في دراسته الأولى[56]، وأضاف ما تتطلبه دراسة النص المحقق من قضايا، نحو:

- التحقق من نسبة المؤلف إلى صاحبه.
- موقع الكتاب في التراث البلاغي الأندلسي.
- الحافز على التأليف[57]، وعرض القضايا التي خالف فيها ابن عميرة ابن الزملكاني وعبد القاهر الجرجاني.

التحقق من نسبة المؤلف إلى صاحبه:

وقد اعتبر العلامة التحقق من نسبة المؤلف إلى صاحبه مطلبا مهما تطلب مقاييس علمية عالية لطبيعة هذا المصنف المنسي، فاختبر مطابقة العنوان لموضوع الكتاب، ورجع إلى المصادر التي تضمنته أو ردت عليه[58]، وإلى عدد مهم من أعلام المشرق والمغرب الذين أعاروه اهتمامهم أو ذكروه ضمن مصنفاتهم، وللتأكد من هذه النسبة، اعتمد على النقد الداخلي بدراسة الكتاب والتمرس بأساليب مؤلفه ومعرفة قدره العلمي، وعرضها على فهارس المكتبات والمؤلفات، كما استند إلى تملكات النسخة الخطية، وإلى التعليقات المثبتة على ظهر الورقة الأولى من النسخة، وللتثبت من صحتها أحال على بعض أعلام المشرق والمغرب الذين وقفوا على تلك النسبة،

---

[56]- أبو المطرف أحمد بن عميرة: حياته وآثاره، ص: 260- 268.

- التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات، ابن عميرة، ص: 14- 25.

[57]- الحافز على التأليف هو كشف تمويهات عبد الواحد ابن الزملكاني (ت 651هـ)، وتصحيح مفاهيمه ومناقشة آرائه والرد على الدعاوى الصادرة عنه في كتابه "التبيان في علم البيان"، الذي ألفه في التعقيب على كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني (ت471هـ).

[58]- التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات، ابن عميرة، ص: 37.

وذكروا الكتاب ضمن مصادرهم أو ردوا عليه بكتابات أخرى[59]، وبسبب ضياع بداية النص، وعدم ورود اسم مؤلفه في المظان المعروفة، كان لابد أن يلجأ، للتحقق من النسبة، إلى استقراء المادة العلمية للمؤلف، ومقابلتها بما وصل من تصانيفه. ولتمسكه بتراكم القرائن وتنوعها، كان يجتهد في البحث عن نبذ جديدة ويلجأ إلى التخمين والترجيح، وهي طريقة خص بها كبار المحققين أمثال عبد السلام هارون (ت1988م) في تحقيقه لتاريخ تأليف كتاب سيبويه[60].

ويبدو أن العلامة له تجربة مهمة في مجال بناء نسبة المصنفات إلى أصحابها، خدمة للتراث المغربي الأندلسي، من ذلك دراسته "حول نسبة كتاب في التاريخ إلى الشاعر ابن زيدون"[61]، و"حول ابن رزين مؤلف كتاب الطبيخ"[62]، و"ابن عبد ربه الحفيد هل هو مؤلف كتاب الاستبصار؟"[63]...

اختبار مطابقة العنوان لـ "موضوع الكتاب":

ولفهم موضوع الكتاب ودراسته، عايش العلامة مادة الكتاب ونفذ إلى مشاغلها الفكرية وأصولها المعرفية وأسسها اللغوية، وهي مهمة اقتضت منه الإلمام بعلوم اللغة العربية، والتمرس بأساليب مؤلفها، خصوصا مع انتماء المادة إلى زمن مغاير وواقع مختلف عن واقع التفسير.

وقد افتتح المترجم مقدمة تحقيقه لكتاب "التنبيهات" بالتعليق على نظرية ابن خلدون القائلة بأن المشارقة كانوا أقوم على فن البيان من المغاربة، وأن مآخذ البلاغة والبيان صعبت عليهم لغموض معانيها[64]، وهذا الموقف الذي مس المغاربة ونعتهم بالضعف، يحتاج إلى شاهد للرد عليه ودحضه، فكان كتاب "التنبيهات" عنده برهانا -بجانب براهين أخرى- على مشاركة

---

[59]- التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات، ابن عميرة، ص: 39.

[60]- كتاب سيبويه، أبو بشر عمرو بن قنبر، ج1، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1983م، ص: 24.

[61]- حول نسبة كتاب في التاريخ إلى الشاعر ابن زيدون، محمد ابن شريفة، مجلة كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، ع 3- 4، 1978م، ص: 61- 80.

[62]- حول ابن رزين مؤلف كتاب الطبيخ، محمد بن شريفة، مجلة كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، ع8، 1982م، ص: 95- 118.

[63]- ابن عبد ربه الحفيد هل هو مؤلف كتاب الاستبصار؟، محمد بن شريفة، مجلة الأكاديمية، ع7، دجنبر، 1990م، ص: 75- 107.

[64]- التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات، ابن عميرة، ص: 5.

المغاربة والأندلسيين في علم البيان بفروعه. وكانت القضية دافعا آخر للإصرار على إخراجه ودراسته، سعيا منه لإغناء الصورة التي شيدها لصحبته ابن عميرة.

وللإحاطة بهذا المؤلف - باعتباره مصدرا في صميم النقد والبلاغة- وقف عند البداية الأولى لعلم البلاغة في الأندلس مع ابن عبد ربه (ت328هـ) وابن شهيد (ت426هـ) وابن حزم الأندلسي (ت456هـ)، وتطورها مع ابن بسام الشنتمري (ت542هـ) وابن رشد (ت595هـ)... فقدم لائحة بأسماء علماء الغرب الإسلامي في القرن السابع، منها: "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" لحازم القرطاجني (684هـ)... وآخرها "التنبيهات" لابن عميرة[65]، مع استمرار اتجاههم البلاغي عبر تلامذتهم.

ولم يغفل المحتفى به الوقوف على منهج المؤلف والتعليق عليه، واستخلص من تحليله للنصوص مجموع ملاحظات موضوعية ومنهجية حول آراء ابن عميرة البلاغية، منها أن جل ردوده على ابن الزملكاني هي أيضا ردود على عبد القاهر الجرجاني[66]، لأن المسائل التي انتقدها موجودة في الكتابين معا...

وبالرغم من دفاعه عن شخصيته، إلا أنه انتقد كتاب "التنبيهات" لانصافه بالاختصار، وهو عيب من عيوب التأليف في هذا الميدان، لأنه يحرم من الاطلاع على المزيد من اجتهاداته[67]، مثلما انتقده لمبالغته في ردوده على ابن الزملكاني، "فقد بالغ -سامحه الله- في الازدراء به والحط منه في بعض الأحيان، وقد يرجع هذا إلى حدة الطبع أو تغير في المزاج وقت التأليف"[68].

قيمة الكتاب، وموقعه في التراث البلاغي الأندلسي:

تعد مقدمة تحقيق كتاب التنبيهات - بجانب جزء مهم من الرسالة الجامعية للعلامة- فضاء مكملا ومهما للدفاع عن قضايا نقدية أثارت جدلا في الوسط النقدي، منها مشاركة المغاربة والأندلسيين - بجانب المشارقة- في فن البيان وقدرتهم عليه، والرد على من ادعى غير ذلك، نحو نقد نظرية ابن خلدون[69]، كما تناولت المقدمة قضية امتزاج بلدان الغرب الإسلامي ووحدة تقاليدها الثقافية والاجتماعية، في علاقتها بعصر الموحدين، وتتبع مظاهر هذا الامتزاج،

---

[65]- التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات، ابن عميرة، ص: 8- 9.

[66]- نفسه، ص: 25.

[67]- نفسه، ص: 32.

[68]- نفسه، ص: 36.

[69]- نفسه، ص: 5- 6.

ومنها أن كثيرا من أعلام هذا العصر، كانت حياتهم موزعة بين الأندلس والمغرب، إلى أن أصبحوا ملكا مشاعا بين هذه الأقطار، ومنهم ابن عميرة وابن الأبار وحازم القرطاجني...[70]، بل ذهب إلى أكثر من ذلك، حين اعتبر التراث الأندلسي تراثا محسوبا على المغرب وراجعا إليه، لأن معظمه من أصول مغربية[71].

من قضايا مقدمة تحقيق كتاب "التنبيهات" أيضا دفاعه ثانية عن قيمة الكتاب، وعن موقعه في التراث البلاغي الأندلسي متتبعا أصوله ومصادره، كاشفا عن الملامح الفلسفية في ثقافة مؤلفها، ومتتبعا الدراسات البلاغية في الأندلس والمغرب خلال القرن السابع الهجري، ليتوصل إلى جديد ابن عميرة، ويعتبره - بجانب القرطاجني والسجلماسي - ممثلا لاتجاه جديد في التأليف البلاغي. وأبرز قيمة النص المحقق، ولائحة بأسماء الآخذين أو الناقلين عنه من أعلام المشرق والمغرب[72].

إن مواقف العلامة محمد بنشريفة من القضايا المطروحة في الكتاب، ودفاعه عنها وعن صاحبها، حركت أقلام النقاد وأثارت جدلا نقديا، من ذلك الدراسة التحليلية لنزيه عبد الحميد السيد فرج، الذي كشف أخطاء ابن عميرة في مآخذه على "تبيان" الزملكاني[73]، وفند التهم التي وجهها له، ورد على المحقق المغربي في دفاعه عن صحبته ابن عميرة ومواقفه النقدية قائلا: "وشر ابن عميرة وسوء أدبه وبداءة لسانه لم تكن قاصرة على ابن الزملكاني فحسب، بل تجاوزته إلى مؤسس علم البلاغة"[74]؛ وأضاف بأنه لم يكن من المقتدرين ولا المجتهدين في البلاغة والنحو والأصول، وجعل موقفه من مسألة "كل" الشاهدة - عند العلامة محمد بنشريفة - على تضلعه وقوة نظره في التحليل، شاهدة عنده على توهمه وسوء فهمه لقصد ابن الزملكاني. فهل الدافع وراء موقفه غيرة المشرقي أمام المساس بعالم في البلاغة، في مقابل شخصية ابن عميرة المغمورة؟ وما موقف الصاحب المحقق من السخرية اللاذعة والمساس بصاحبه، والذي شهد له علماء عصره - قبل شهادة الصاحب - بالمشيخة والعظمة؟ وهل سيولي اهتماما بالأمر في مجموعته الكاملة لأعمال ابن عميرة أم سيتجاهل الأمر؟

---

[70] - التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات، ابن عميرة، ص: 28.

[71] - نفسه، ص: 5 - 6.

[72] - نفسه، ص: 39.

[73] - نقد كتاب التنبيهات، دراسة تحليلية تكشف أخطاء المؤلف في مآخذه على (تبيان) ابن الزملكاني: نزيه عبد الحميد السيد فرج، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة 1996م.

[74] - نفسه، ص: 16.

التحقيق في تاريخ النُّسخ ومكانها وقيمتها:

لقد تتبع المحقق قصة النسختين المخطوطتين المعتمدتين في المقابلة من خلال تملكاتها وطررها[75] وتنقلاتها، فوصف خطيها وعدد أوراقها ومسطراتها، ثم استخلص تاريخ انتساخها، يقول: "فيبدو من خط هذا المجموع وورقه أنه انتسخ في القرن الثامن الهجري"[76]، كما ألزم نفسه بدراسة تعليقاتها ونصوص تملكاتها وعرف بأصحابها لأهمية ذلك في التأريخ للنسخ ولإفادتها في "معرفة مدى تداول هذا الكتاب بالمشرق والمغرب"[77].

منهجه في تأصيل النص:

اعتمد على المقابلة بين النسختين الجيدتين، وإثبات الفروق بينهما في الحواشي بدون تعيين، وعارضهما بمصادر النص واقتباساته وبمصادر التخريجات مع توثيقها توثيقا تاما[78].

أما منهجه في قراءة النص، فقد قام بما يقتضيه المتن من ضبط لكلماته وتخريج لشواهده وتوثيقها[79]، وترقيم لفقره...

3- صناعة موسوعة حديثة: "الأعمال الكاملة لأبي المطرف ابن عميرة":

لقد اعتبر العلامة محمد بنشريفة معايشة شخصيته زمنا شرطا مهما قبل الإقدام على تقديم صورته كاملة، مع حضور النية الصادقة لتحقيق هذا الهدف، وأدرك تمام الإدراك أن الألفة والقرابة والانسجام بينه وبين مترجمه، هي شرط لإنجاح القراءة النقدية لآثاره وإخراجها كاملة، فتعددت مظاهر هذه الألفة والقرابة بينهما، جعلته أقدر على تذوق آثاره وفهم ألفاظه وأساليبه الخاصة، وأجدر من غيره بصناعة صورة كاملة لصاحبه، وكانت نتيجة هذه الألفة، صناعة موسوعة تضم الأعمال الكاملة لابن عميرة في ستة أجزاء[80].

---

[75]- التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات، ابن عميرة، ص: 41-42.

[76]- نفسه، ص: 44.

[77]- نفسه، ص: 43.

[78]- نفسه، ص: 180 (إحالة، ص: 164).

[79]- نفسه، ص: 72 (إحالة، ص: 83- 84.

[80]- الأعمال الكاملة لأبي المطرف ابن عميرة، تأليف الأستاذ الدكتور محمد ابن شريفة، تقديم فضيلة الأستاذ أحمد عبادي الأمين العام للرابطة المحمدية للعلماء، الرابطة المحمدية للعلماء، الرباط، 2017م.

لقد صدقت النية الحسنة للمحتفى به، وبدت سعادته اليوم بتحقيق أمنية من أمنياته العلمية: ولادة مولود جديد حلم بتشريفه زمنا عندما قال: "وفي نيتي إن شاء الله التعريف بمن لم يعرف بهم حتى الآن، وكتابة سيرهم ونشر ما يوجد من آثارهم "[81].

تحققت النية الصادقة مع أول علَم، العلم الذي كان فاتحة خير عليه، ألهمه استباق الخيرات، واختيار الطريق الشاق: ترميم الحقب المبتورة من تاريخ الأدب المغربي الأندلسي. فاتحة الخير تلك، توجت اليوم بإحياء عهد ثان: "**وسننشر بعد هذا إن شاء الله رسائله وشعره**"[82]، وبتحقيق وصية غالية من عالم جليل تنبأ بقوة تلميذه: "بقي على الأستاذ ابن شريفة أن ينكب على إنتاج ابن عميرة خصوصا رسائله بالدراسة الشاملة لنشره وتعميم الفائدة به"[83]، توجت أخيرا بإصدار الأعمال الكاملة لصاحبه، عمل مهم في إضاءة تاريخ حقبة مظلمة، وفي تأسيس حلقة لم تدرس بعد في سلسلة تطور النثر الأندلسي.

بإصداره الجديد نتصور حال لسانه يقول، كما قال في مقدمة تحقيقه لكتاب "مذاهب الحكام في نوازل الأحكام" (عندما ينشر هذا العمل ستعلم، أيها القارئ المفترض، مكانة ابن عميرة وقيمة آثاره، وتقتنع بذلك). فما الصورة الجديدة التي قُدم بها الأديب الأندلسي اليوم؟ وما ميزة هذا العمل الضخم؟ وما قيمته؟

لقد جمع العلامة - كعادته في كتب عديدة- بين التأليف والتحقيق والدراسة، فوضع مواد الكتاب موضع سؤال، ونظر فيها وفيما حولها، وبحث في البواعث على القول، ودرس قضاياها ومعانيها...

إن موضوع الكتاب في مجمله، تحقيق ودراسة لآثار ابن عميرة، تحتوي على حقائق وفوائد مهمة، وتسهم في بناء تاريخ حقبة أدبية غامضة، في مقدمة هذه الآثار رسائله الديوانية والإخوانية... ونظمه الشعرية، ومؤلفاته، وهي أعمال عرف بها العلامة وبموضوعاتها.. في رسالته الجامعية، واعتمد على نسخها المخطوطة المتوافرة في بناء ترجمته.

---

[81]- ابن حريق البلنسي، حياته وآثاره، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1996م، ص: 5.

[82]- التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات، ابن عميرة، ص: 46.

[83]- أبو المطرف أحمد بن عميرة، حياته وآثاره: محمد بن شريفة، تصدير بقلم الأستاذ محمد الفاسي، ص: 4.

3-1 الجزء الأول: السيرة:

لقد خص الجزء الأول لسيرة ابن عميرة، بإعادة نشرها في طبعة ثانية مزيدة ومنقحة، وهذا عمل فيه تجديد لما أنجزه في رسالته الجامعية، مع تقديم لفضيلة الأستاذ أحمد عبادي الأمين العام للرابطة المحمدية التي أشرفت على طبع هذا العمل.

3-2 الجزء الثاني والثالث والرابع: الرسائل:

هي دراسة وتحقيق لرسائل ابن عميرة التي كتبها في الأندلس وفي المغرب ثم في إفريقية، عرض خلالها نماذج من النسخ المعتمدة في التحقيق، وحقق في نشرة مخطوطة لرسائل ابن عميرة، بتتبع أخطائها وأبياتها المكسورة وأخطاء في بحور الشعر...

وقد جمع شتاتها وأجزاءها المتفرقة والمتناثرة في المصادر المخطوطة والمطبوعة، ورتبها وصنفها حسب موضوعاتها.

ولإثبات قيمتها التاريخية والأدبية، اعتبرها الأستاذ محمد الفاسي من أروع إنتاجات ابن عميرة وأهمها و"من أهم المراجع لمعرفة ماضينا السياسي والفكري"[84]، واعتبرها العلامة محمد بنشريفة عظيمة لتصويرها حقبة الصراع على الحكم وأوضاع الأندلس عموما، وما تزال "تنتظر من ينفض عنها غبار النسيان ويعنى بنشرها ليكتب على ضوئها تاريخ هذه الحقبة المظلمة"[85]. وقيمتها الكبرى كونها صادرة عن رجل عاش هذه الأحداث واشترك في صنعها أحيانا خلال توليه كتابة بيعة أهل بلنسية للمأمون الموحدي، بل إنها كانت مصدرا لمؤرخين كبار أمثال ابن عذاري وابن الخطيب والمقري[86].

3-3 الجزء الخامس: الديوان:

وهو جمع وتحقيق لأشعار ابن عميرة، اعتبره العلامة صناعة لديوان لم يكن له وجود، يقول: "هذا ديوان جمعناه أو صنعناه من شعر أبي المطرف أحمد بن عميرة، المبثوث في مجاميع رسائله التي جمعها غيره، إذ لم يكن يرى تدوينها"[87].

---

[84]- أبو المطرف أحمد بن عميرة: حياته وآثاره، محمد بن شريفة، ص: 4.

[85]- نفسه، ص: 184.

[86]- نفسه، ص: 184.

[87]- الأعمال الكاملة لأبي المطرف ابن عميرة، تأليف الأستاذ الدكتور محمد ابن شريفة، الجزء الخامس (3- الديوان)، ص: 5.

وقد سبق للعلامة فصل القول في شعره خلال دراسته الجامعية، وخص له فصلا كاملا في الباب الثالث[88].

3-4 الجزء السادس: مؤلفاته:

وهو تقديم وتحقيق لمؤلفات ابن عميرة:

- **المؤلف الأول:** إعادة نشر كتاب "التنبيهات": تقديم وتحقيق.

- **المؤلف الثاني:** تحقيق كتاب في التاريخ: "تاريخ كائنة ميورقة". وقد خص العلامة في رسالته فصلا للتحقيق في تسمية الكتاب وعنوانه وزمن تأليفه و دواعي التأليف، وعرض للخلاف والخطإ والسهو الذي وقع فيه بعض المترجمين المتأخرين لابن عميرة، حول العنوان وتاريخ التأليف، وشرح أسباب وقوعهم في الخطإ، ثم أثبت صحة موقفه بالأدلة، كما عرف بموضوع الكتاب، وهو شرح الأسباب والظروف التي وقع فيها الهجوم على جزيرة ميورقة، ومظاهر القسوة التي ارتكبها الغزاة الفاتحون ضد أهلها من مسلمي الأندلس، يقول: "وكون هذا الكتاب بقي متداولا إلى عهد المقري هو مما يقوي أملنا في العثور عليه يوما ما، في خزائن المخطوطات التي لم تكتشف بعد"[89].

- **المؤلف الثالث:** تقديم وتحقيق لـ"فصول وخطب في الزهد"

عرف بها في رسالته خلال عرضه للآثار المشرقية في الزهد، وفي فصول أنشأها ابن عميرة على طريقة الإمام أبي الفرج الجوزي، وعمله هنا يتجلى في قوله: "ويبدو أن فصول ابن عميرة لم تصل إلينا كاملة مستقلة، وإنما وردت مختصرة في مجموع الرسائل والذيل والتكملة، إذ تكرر فيها كلمة "منها ومنها" ومع ذلك فقد رأينا أن نوردها على حدة، ونضيف إليها بعض خطبه وأشعاره في الوعظ والزهد"[90].

ونجد العلامة، بعد هذا، يتأسف كثيرا لضياع كتاب آخر في التاريخ: "اقتضاب من تاريخ المريدين" وكتاب في الدين: "تعقيب على كتاب المعالم للفخر الرازي" عرف بهما في رسالته وبموضوعيهما، وحقق في العنوانين، وعرض الخلاف الذي دار بين المصادر حول التسمية.

---

[88]- أبو المطرف أحمد بن عميرة: حياته وآثاره، ص: 223 - 247.

[89]- الأعمال الكاملة لأبي المطرف ابن عميرة، محمد ابن شريفة، الجزء السادس (4- المؤلفات)، ص: 240.

[90]- نفسه، ص: 295.

خاتمة

نجح العلامة المبدع - رجل المشاريع العلمية الكبرى، الدارس للأدب في شموليته- في التغلغل في أعماق شخصيته الأندلسية، وكشف عوالمها الخفية وفكرها الأصيل، وكشف الغطاء عن مراحل عصورها المغمورة، وجمع شتات تآليفها وإيضاء فكرها، فجعل من عمله سجلا حافلا بالتاريخ والأدب، وجعل صاحبه يمثل عصره خير تمثيل، وهذا الاهتمام ليس سوى تجل لنفسه الأبية، نفس تحب ارتياد الميادين المتروكة والإتيان بشيء جديد مبتكر.

بهذا المجهود، جمع شمل المؤلَّف بمؤلفاته، فأحياها بعدما أحياه مصداقا للقول المأثور: "من أرخ مؤمنا فكأنما أحياه". تجربة كهذه، إن دلت على شيء، فإنما تدل على خدمة الرجل لأمته، لوطنه، لتاريخه، خدمته للغته العربية، وتلك إحدى مسوغات اختياره -كاسم وازن- علما لهذا المركز، "مركز خدمة اللغة العربية" بمراكش.

في النهاية، أختم بمقولة لزكي نجيب محمود في تصنيفه للكتب:

"كتب تذاق بطرف اللسان، وكتب تزدرد ابتلاعا، أما النوع الثالث فهو نوع يقرأ على مهل، في يقظة واعية، وهي القلة النادرة التي من شأنها أن تبدل وجه الأرض تبديلا"[91]، إنها تبدل وتربي، تبدل السائد والمغلوط، وتربي على ارتياد المتروك، وعلى المبادرة والجرأة العلمية، تربي القيم الوطنية والفنية، تربي على التجديد والإبداع. وهذا النوع نادر عزيز وعدده قليل، تلك هي الكتابة عند العلامة محمد بنشريفة. عندما تقرأ له وتغوص في بحر علمه، تحس بهيبة العالِم أمام علمه الغزير، وتخشى مجالسته لعلو شأنه في الكتابة، وتتنابك الرهبة من صرامته المنهجية... وعندما تجالسه عن قرب، يفاجئك رجل بشر في مشافهته، وقور متواضع، كريم مضياف، يسألك عن كل شيء: عن الأهل، عن العمل، عمن يسأل عنه ومن لا يسأل، عن أحوال مراكش ودروبها وأجوائها وعلمائها، يبسط لك بساط الكلام لتستريح، ثم يجود بأنواع كرمه: زاده وفكره وكتبه ووقته، بل قد يتعدى ذلك، يُشعرك برعايته حتى تحسبه أهلك، لذلك نعتبر مجالسته فضلا من الله وتيسيرا منه.

بهذه الكلمة نهنئ أستاذنا المبدع على إصداره الجديد: "الأعمال الكاملة لأبي المطرف ابن عميرة"، ونشكره جزيل الشكر، لأنه منحنا النسخة الأولية الوحيدة منه قبل نشره، ومنحني

---

[91]- في فلسفة النقد، زكي نجيب محمود، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1979م، ص: 157 - 159.

شرف تقديمه لأول مرة. نتمنى له عمرا طويلا وعطاء غزيرا، وبارك الله فيه وفي أسرته الكريمة ليَسعد ويُسعِد بمواصلة مشروعه الأكبر: جمع آثار مترجميه ونشرها.

المصادر والمراجع:

- أبو تمام وأبو الطيب في أدب المغاربة، محمد ابن شريفة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986م.
- أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي: حياته وآثاره، محمد بن شريفة، تصدير محمد الفاسي، مطبوعات الرسالة، الرباط، 1966م).
- ابن حريق البلنسي، حياته وآثاره، دراسة وتحقيق محمد بن شريفة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1996م.
- الأزجال الأندلسية بين العميدين محمد بنشريفة وإميليو غارسيا غوميث، الدكتور محمد العمارتي، ط1، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2017.
- تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، محمود المقداد، كتاب عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع 167، نونبر 1992م.
- التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات، أبو المطرف أحمد بن عميرة، تقديم وتحقيق محمد بن شريفة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1991م.
- جهود الأستاذ العلامة الدكتور محمد بن شريفة في خدمة اللغة العربية بالمغرب، محمد قوقزان ضمن ندوة "تحقيق التراث المغربي الأندلسي حصيلة وآفاق" تكريما للأستاذ محمد بن شريفة، منشورات كلية الآداب، وجدة، رقم 16، سلسلة ندوات ومناظرات 4، طبعة 1، 1997: 373-383.
- ديوان أبي فراس الحمداني "حسب الرواية المغربية"، إعداد محمد بن شريفة، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000م.
- شرح ديوان أبي فراس الحمداني لابن خالويه "حسب الرواية التونسية"، إعداد محمد بن شريفة، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2000م.
- شرح المختار من شعر أبي الطيب المتنبي، لابن عبد ربه الحفيد (ت602هـ)، النصف الثاني، قام بإخراجه والتقديم له الدكتور محمد بنشريفة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 2011م.
- شروح أندلسية غير معروفة لـ "سقط الزند"، قام بإخراجها والتقديم لها الدكتور محمد بنشريفة، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 2011م.
- طريقة محمد بن شريفة في تحقيق التراث ودراسته، عز الدين عمر موسى، ضمن ندوة "تحقيق التراث المغربي الأندلسي: حصيلة وآفاق" تكريما للأستاذ محمد بن شريفة، منشورات كلية الآداب، وجدة، رقم16، سلسلة ندوات ومناظرات4، طبعة1، 1997م: 419- 427.

- طه حسين والتراث الثقافي الأندلسي المغربي، ملحق العلم الثقافي، الرباط، ع 789، س21، السبت 17 نونبر، 1990م.
- في فلسفة النقد، زكي نجيب محمود، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1979: 157 - 159.
- كلمة الأستاذ محمود علي مكي، ضمن ندوة "تحقيق التراث المغربي الأندلسي: حصيلة وآفاق"، تكريما للأستاذ محمد بن شريفة، منشورات كلية الآداب، وجدة، رقم 16، سلسلة ندوات ومناظرات 4، ط 1، 1997م: 35 - 37.
- كلمة السيد عباس الجراري، "ندوة تحقيق التراث المغربي الأندلسي: حصيلة وآفاق"، تكريما للأستاذ محمد بنشريفة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بوجدة، رقم 16، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 4، ط1، 1997م: 23 - 27.
- كلمة الدكتور محمد الكتاني، ضمن ندوة "تحقيق التراث المغربي الأندلسي: حصيلة وآفاق"، تكريما للأستاذ محمد بن شريفة، منشورات كلية الآداب وجدة رقم 16، سلسلة ندوات ومناظرات 4، طبعة 1، 1997م: 45-47.
- لقاء مع العلامة محمد بن شريفة في منزله يوم الخميس 06 يوليوز 2017م.
- "محمد بن شريفة: سيرة وبيبليوغرافيا، إعداد عبد العزيز الساوري، تقديم مصطفى الغديري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية رقم 11، سلسلة ندوات ومناظرات رقم4، جامعة محمد الأول، 1995م.
- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، ابن الصلاح، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م: 189 - 190.
- "النبوغ المغربي"، محمد عزيز الحبابي، العلم الثقافي، عدد 860، السنة17، السبت 30 يناير، 1988م.
- نقد كتاب التنبيهات، دراسة تحليلية تكشف أخطاء المؤلف في مآخذه على (تبيان) ابن الزملكاني، نزيه عبد الحميد السيد فرج، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، 1996م.

هذا الكتاب

وليد مجهود أثمرته فعاليات الندوة العلمية الدولية التكريمية، التي سهر على تنظيمها المركز الدولي لخدمة اللغة العربية بمراكش تكريما لأستاذ الأجيال، العالم الفذ الدكتور محمد بنشريفة، تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته، في موضوع: "العلامة محمد بنشريفة وأسئلة التراث المغربي الأندلسي"؛ التي انعقدت يومي 15 و16 نونبر2017م بالمركب الإداري والثقافي محمد السادس بمراكش، وعرفت مشاركة ثلة من خيرة الباحثين الأكاديميين المرموقين من داخل المغرب وخارجه.

وقد تضمن هذا الكتاب، فضلا عن شهادات في حق المحتفى به، أبحاثا تتسم بالجدة، اجتهدت جميعها في تتبع مسار الرجل ومشروعه العلمي القائم على إحياء تراث الغرب الإسلامي في تمظهراته المختلفة: شعره ونثره، فصيحه وعاميه، أزجاله وأمثاله، وسعت إلى الكشف عن مراحل هذا الإحياء من ترميم لسير أعلام الأندلس والمغرب المنسيين، وتحقيق لآثارهم ثم دراستها؛ كما رصدت منجزه في ميدان التنقيب والتحقيق والتوثيق، ووقفت على تميزه في الاستقصاء والضبط، وعلى حِذقه في إنقاذ ما طاله الإهمال من التراث المغمور.

العلامة
محمد بنشريفة

70 Dh
ISBN 978-9954-618-49-3
9 789954 618493

المركز الدولي
لخدمة اللغة العربية
بمراكش

مؤسسة آفاق للدراسات والنشر والاتصال
483/4 الوحدة 4 الداوديات
مراكش - المغرب - 59 73 30 24 05